مجلة الروائز
ISSN: 2602-5914/ EISSN: 2716-9596
المجلد:05 العدد: 02 (السنة: 2021) ص ص: [165-179]

تظاهرات حداد ما بعد الفقد الوالدي عند المراهق.

Manifestations of Mourning after parental loss in an adolescent.

سامية رحال *
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف _ s.rahal@univ-chlef.dz
أحمد خان
جامعة أحمد بن محمد – وهران 2 – khaneahmed@hotmail.fr

تاريخ الإرسال:2021/10/05 تاريخ القبول:2021/12/20

ملخص

هدفت الدراسة الحالية الى تسليط الضوء على عمل الحداد وتظاهراته عند المراهق بعد الفقد الوالدي، وكذا البحث في خصوصية مرحلة المراهقة وسن الفقد في تعقيد الحداد عند المراهق.

طبقت الدراسة على حالة مراهق فاقد لوالديه كنموذج، تم اختياره بطريقة قصدية وفق معايير خاصة، وذلك بالاعتماد على المنهج العيادي وأدواته: الملاحظة العيادية المباشرة؛ المقابلة العيادية البحثية وباستعمال طريقة تحليل المحتوى للخطاب والصمت أشارت النتائج الى أن عمل الحداد تجلى في وجود تظاهرات عاطفية؛ وسلوكية؛ ومعرفية؛ وجسدية؛ واجتماعية، كما بينت الدراسة أن الفترة العمرية تعتبر مؤشرا لتعقيد الحداد وتطوير حداد باثولوجي.

الكلمات المفتاحية: الحداد؛ المراهقة؛ الفقد الوالدي.

Abstract

The current study aims to shed light on the work of mourning and its manifestations in the adolescent after parental loss, as well as search in The specificity of adolescence and the age of loss in the complexity of mourning in the adolescent.

The study was applied to the case of an adolescent who lost his parents as a model, which was deliberately chosen according to special criteria, based on the clinical approach and its tools: direct clinical observation; The clinical research interview, using the method of content analysis of speech and silence, the results indicated that the work of mourning was manifested in the presence of emotional manifestations; behavioral; cognitive; and physical; The study also showed that the age period is an indicator of the complexity of mourning and the development of pathological mourning.

key words: Mourning; Adolescence; Parental loss.

مقدمة

إن التصور الذي وضعه التحليل النفسي للنفس البشرية، يشمل فكرة تناسق مجموعة عناصر تتقاسم وظائف متعددة حيث تشكل في ترتيبها ومجملها الجهاز النفسي، ويعتبر نشاط هذا الأخير عملا ديناميا يعمل على تحقيق التوازن الداخلي آخذا بعين الاعتبار الواقع النفسي وبالتالي هدفه التوازن والتكيف ،كما أن هذا الجهاز محكوم بمبادئ وقوانين تسيره، ومجمل هذه الأنظمة والوظائف تشكل التوظيف النفسي، ومن بين ما يؤثر على تنظيم وسير الجهاز النفسي هو التغيرات الناتجة عن البلوغ، الذي يمثل نقطة

* المؤلف المرسل

الانطلاق البيولوجية لسيرورة نفسية هامة ألا وهي المراهقة، والتي تهدف إلى استدخال هذه التغيرات الناتجة عنه.

تعتبر المراهقة كمنظم نفسي يكتسي منفعة تطورية هامة في النمو، وتتضمن حركتين نفسيتين ديناميكيتين متعارضتين. ترتبط الأولى بتفكيك الأنظمة التصورية المركبة إلى حد الآن من طرف الأنا، الشيء الذي ينجر عنه حساسية مفرطة اتجاه أحداث العالم الخارجي، ويجعل المراهق أكثر استعدادا للاهتزازات الاقتصادية والصراعات الديناميكية. أما الحركة الثانية، فتشير إلى عملية إعادة الربط، والعودة إلى حالة التوازن الاقتصادي (Terrier, 2001). تسمح حركة التفكك للمراهق باختبار فردانيته، وتمايزه عن الآخرين، أما حركة الربط فتهدف إلى ربط تمايزه مع تمايز الآخرين، ومن هنا يصل الى تحقيق مستوى من التكيف والانسجام مع المحيط الذي يعيش فيه.

تعد المراهقة فترة هشة، لما تشهده من إعادة تنشيط الصراعات النفسية المرتبطة بالإشكاليات تبعا لثلاثة محاور مُنَّظمة للنفس: عقدة أوديب، والنرجسية، وإرصان فقدان الموضوع، حيث تعمل التنقيحات المتتابعة لإرصان أو إفشال سياق المراهقة (Emmanuelli and Azoulay,P 2001).

يعتبر محور إشكالية إرصان فقدان الموضوع لاسيما إذا تمثل في فقدان أحد الوالدين كهدم الصور الوالدية ومحاولة إعادة بناء الذات على أسس جديدة بمثابة عمل الحداد ومحاولة لإرصان الفقدان، كما يسمح النجاح في معالجة الفقدان للمراهق باختبار نرجسيته، ومن هنا استقلاليته عن الآخرين. لكن البيئة التي نعيش فيها قد تحتوي على مثيرات ومفاجئات من وقت لآخر، قد تحمل مواقف صعبة ليس من شأنها أن تخدم صحة وتوازن التوظيف النفسي السوي للمراهق، كفقدانه لأحد والديه أو كليهما وهو لم يصل الى سن البلوغ بعد (مرحلة الطفولة)، إذ يعتبر اليتم معاش نفسي قد لا يدركه إلا الفرد الذي يعيش التجربة الفريدة في صمت، حيث أن كل شخص يفقد موضوع حب أولي يحس بالحزن والكآبة، ويتعرض جهازه النفسي إلى كمية معتبرة من المنبهات والإثارات التي تعطي له عملا نفسيا إضافيا معتبرا، ألا وهو عمل الحداد الذي هو عملية دينامية يعيشها الفرد بمعاناة لتقبل الفقدان وديمومته بهدف الوصول للاستقلال النفسي من الشخص المفقود (زقار، 2014).

إن شتى أنواع الحداد تعاش في معاناة، وكف، ونكوص، في حين نجد أن فقدان أم، أو أب في الطفولة هو اختبار ثقيل ومؤلم للطفل الذي ليس له إمكانية للقيام بعمل حداد كلي، كما أنه قد يبدو عاديا، لكن قسم مهم يُنْجز لاحقا، ليقوم به في المراهقة، أو في بداية الرشد، فحداد الطفل يتميز بأنه يحمل ويبقى في داخله، وفي خياله صورة الوالد المتوفي، إلى غاية المراهقة، أين ينتظر رجوعه أو عودته (Hanus, 1997 ,P .293)

إن ما يهم الدراسة الحالية هو ذلك الطفل الذي أصبح اليوم مراهقا، والذي فقد أحد والديه على الأقل، وبالاطلاع على الدراسات والمراجع العلمية التي تناولت الحداد عامة والحداد عند الطفل والمراهق خصوصا يتجلى أولا في تلك الظروف المسببة للفقدان وأيضا مساهماتها العلمية المختلفة كما هو الحال في الدراسات التالية: أين كانت أول دراسة إمبريقية حول الحداد وآثاره سنة 1944، أين نشر إريك ليندمان (Eric Lindman) دراسة حول "أعراض وتسيير الحداد الحاد" لـ101 حالة، وساهم وصفه الدقيق لأعراض الحداد الحاد على ما نعتبره اليوم أعراضا "عادية" للحداد. كما وصف بالإضافة إلى الحداد العادي نوعا آخر من الحداد يختلف عن الحداد العادي، سمّاه مرضي (Morbide) الذي ينسبه لكبت أو تجنب الاستجابات الانفعالية للحداد، كما اقترح أن يكون الهدف من العلاج النفسي في وضعية

الحداد هو مساعدة الأشخاص على التعبير عن حدادهم فقط (Angladette and Consoli, 2004, P912).

بعد بضع سنوات، وفي 1949 تحديدا، قام أندرسون (Anderson) بنشر دراسة حول 100 حالة حداد مرضي (Morbide) في أحد أجنحة الطب العقلي في إنجلترا، أين وصف أعراض الحداد المزمن، وهو نوع من الحداد الحاد والذي يستمر لمدة طويلة، كما أظهر أن بعض هذه الحالات يعاني من اضطرابات سيكاترية ناتجة عن الحداد، منها 59% اضطرابات حصرية و15% اضطرابات هوسية-اكتئابية (Mongolfier, 2010, P27).

لم تتم أي دراسة على عينات أخرى (عدى الحالات التي وجدت في المراكز الطبية النفسية) إلا بعد سنة 1958، وتم هذا في دراسة لبيتر ماريس (Peter Maris) التي قام بها على 72 أرملة وأرمل من لندن، وهي بالتالي الدراسة الأولى حول الحداد والتي لا تتعلق باضطرابات سيكاترية أو صدمية كما تبينه عينته، وقد أظهرت هذه الدراسة أن كثيرا من الأعراض التي أظهرتها الدراسات التي شملت الحالات السيكاترية تمر بمرحلة حداد، هذا ما ألغى الشك على مدى كون الأعراض الموصوفة في الدراسات على ذلك من النوع من العينات "حداد عادي"، كما أظهرت هذه الدراسة أيضا أن مواصلة الإحساس بتواجد الشخص المفقود في عينة الأرامل تظهر بنفس التكرار مقارنة بعينة الحالات السيكاترية الأمر الذي ألغى تفسير هذا الإحساس على أنه ناتج فقط عن الاضطراب السيكاتري ولكن ربطه بالحداد أيضا (Zech, 2006, P83).

بداية من 1970 طوّر كولين مراي باركس (Colin Murray Parkes) وجون بولبي (Jhon Bowlby) دراسات طولية سمحت بوصف التغيرات في ردود الأفعال عبر الزمن، فبينما كان بولبي يعمل على ردود أفعال الطفل عندما ينفصل عن أمه، كان باركس يتتبع طوليا بعض الأرامل لمدة سنة كاملة، ثم لاحظنا أن النتائج الملاحظة عند الأطفال والأرامل في مرحلة الحداد تتشابه لدرجة كبيرة في عملية تطورها. هذه الملاحظات ستكون الأساس فيما بعد لنموذج الحداد عبر المراحل (Bertrand, 1996,P 23).

كما اهتمت الدراسات بتفسير الاختلافات في ردود الأفعال أثناء الحداد، أي حاولت تفسير لماذا بعض الأشخاص يعيشون الحداد بطريقة عادية وآخرون يعانون بطريقة أكبر ولمدة أطول بكثير، وهذا ما قاد دراسات حول عوامل الخطر المؤثرة على الحداد، في دراسات مثل تلك التي قام بها باركس رفقة فريق جيرالد كابلان (Gerald Caplan) أحد أعمدة التدخل في حالات الصدمة في الولايات المتحدة وأيضا دراسات دافيد ماديسون (David Maddison)،هذه الدارسات سمحت بتحديد عوامل الخطر التي يمكن أن تؤدي لحداد مرضي إذا ما تواجد لدى الشخص قبل أو أثناء الفقدان، الأمر الذي فتح الباب لدراسات نفس-اجتماعية لموضوع الحداد (Luis-vincent, 1995,P 33).

أما في الربع القرن الأخير، خصوصا العشر السنوات الأخيرة، كان هناك اهتمام وتقدم ملحوظ في الجانب الإمبريقي والنظري للحداد، حيث خصصت العديد من المجلات العلمية لهذا المجال منها مجلة " Death Studies"، "Mortality" و"Journal of death and dying" وهي كلها تهتم بدراسة التظاهرات التي تكون وتتبع عملية الحداد، وتحاول إعطاء نظرة شاملة عن مختلف النظريات والمساهمات في هذا المجال (Zech, 2006,P 37).

كما تظهر علاقة الحداد بالمحيط والظروف التي حدثت فيها الوفاة ففي الدراسات الجزائرية أين خصصت أغلب دراسات الحداد لآثار مرحلة الاضطرابات الأمنية السياسية والاجتماعية التي عاشتها

البلاد في التسعينات، نجد دراسة سي موسي وزقار (2002) التي نشرت أيضا على شكل كتاب يحمل عنوان "العنف الإرهابي ضد الطفولة والمراهقة علامات الصدمة والحداد في الاختبارات الإسقاطية".

بالإضافة إلى الدراسات التي قامت بها الجمعية الجزائرية للبحث في علم النفس (SARP) أبرزها دراسة سعدوني غديري حول التكفل بالأطفال المصدومين، والتي هدفت إلى التعرف على مدى فعالية التكفل النفسي على الصحة ونوعية الحياة والمصير المدرسي لهؤلاء الأطفال الذين استفادوا من المساعدة النفسية، بين السنوات 2000-2007، بمركز سيدي موسى، وتوصلت أنه رغم نجاعة التكفل النفسي الذي منح للأطفال والأولياء، فضاءً علاجيا احتوائياً واسنادياً، ورغم أن الأطفال تحسنوا في بعض الميادين، مثل القدرة على إرصان وترميز ما حدث لهم من أعمال عنف مكثف مجتمعي على مدى السنين، تبقى جروح غير مُضمدّة، وندخل هنا إلى الصدمة المزمنة أو المعقدة، وهذا ما حدث لأطفال الجزائر منذ أكثر من عشرية كاملة (سعدوني غديري، 2011،ص 375).

كذلك نجد دراسة إيمان جابر (2014) والتي كان موضوعها الآثار النفسية لعمل الحداد لدى المراهق اليتيم، وهدفت الدراسة إلى معرفة مدى تأثير عمل الحداد على المراهق اليتيم، وما سيخلّفه من آثار وأعراض نفسية، وأظهرت نتائج الدراسة بأن عمل الحداد يساهم في ظهور التظاهرات الإكتئابية لدى المراهق اليتيم، لكن هذه الأعراض هي طبيعية تابعة لعمل الحداد السوي، كما يساهم في ظهور الانطواء لدى المراهق اليتيم، إلا أن حالتين أظهرتا النمط المنبسط (جابر، 2014، ص 97).

لكن، بعد اطلاعنا على مختلف الدراسات والمراجع العلمية التي تناولت الحداد عامة والحداد عند الطفل والمراهق خصوصا يتجلى أولا في تلك الظروف المسببة للفقدان وأيضا مساهماتها العلمية المختلفة، لم نقف على أي دراسة –في حدود علم الباحثان-اهتمت بطبيعة الحداد المتعلق بخصوصية المرحلة العمرية من جهة، وسن الفقد من جهة أخرى.

وقد تعددت النظريات التي تحاول توضيح عمل الحداد أي شرح ذلك "المجهود العقلي والنفسي الذي يقوم به الشخص لتقبل الفقدان" (Barbot, 2011,P 11). هناك اتفاق عند كل المؤلفين على أن عمل الحداد يمر عبر عدة مراحل، مع وجود اختلافات حول عدد هذه المراحل والذي يتغير من ثلاث إلى عشر مراحل حسب المؤلفين.

نظرا لهذا التباين الكبير في عدد المراحل المتعلقة بعمل الحداد، قررنا تناول معاش الحداد دون اللجوء إلى نموذج المراحل المتبع غالبا في الدراسات الجزائرية التي اطلعنا عليها وتبنينا نموذج تظاهرات الحداد يعني الأثر الناتج عن الفقدان في مختلف أبعاده النفسية، الجسمية، السلوكية والاجتماعية، وعلى عكس نموذج المراحل، يوجد اتفاق عام حول تظاهرات الحداد (Les manifestations du deuil) كما قدمته الباحثة زيك Zech في كتابها (2006) Psychologie du deuil والذي سنعتمد عليه في دراستنا.

كما أن تظاهرات الحداد لا تعتبر الأمر الوحيد الذي اتفق عليه مختلف الباحثين في مجال الحداد، فأنواع الحداد هو أيضا متفق عليه، حيث يفرق الباحثون بين الحداد العادي والحداد المعقد الذي يشمل في أنواعه الحداد المزمن أي ذلك النوع من الحداد الذي يكون فيه استمرار وعدم اختفاء بعد مدة طويلة لتظاهرات الحداد (Zech, 2006, P83).

ونظرا لخصوصية المرحلة العمرية التي يمر بها مجتمع دراسة الحالية والمتمثل في المراهقين الأيتام من جهة، وسن الفقد من جهة أخرى قد لا يساعد مبدئيا على تقبل حقيقة الموت ومنه على عمل الحداد حتى نهايته وهي مرحلة تقبل الحداد والتي يظهر اتفاق كل المؤلفين على ضرورتها للخروج من مختلف معاناة الحداد وإعادة استرجاع التوازن النفسي للفرد.

بُغية تحقيق الأهداف المرجوة، تم طرح التساؤلات التالية:

1) فيما تتمثل تظاهرات الحداد لدى المراهق اليتيم؟
2) هل تؤدي خصوصية المرحلة العمرية (المراهقة) وسن الفقد إلى تعقيد الحداد لدى المراهق اليتيم؟

انطلاقا من هذه التساؤلات، تم صياغة الفرضيات الآتية:

1) تتمثل تظاهرات الحداد لدى المراهق اليتيم في التظاهرات العاطفية، السلوكية، المعرفية، الجسدية، والاجتماعية.
2) تؤدي خصوصية المرحلة العمرية (المراهقة) وسن الفقد إلى تعقيد الحداد ومؤشر لحداد مزمن لدى المراهق اليتيم.

1. أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية الى:

- الكشف عن عمل الحداد ومظاهره (العاطفية – المعرفية- السلوكية- الاجتماعية- الجسدية -) عند المراهق بعد الفقد الوالدي (اليتم).
- البحث عن مؤشرات تعقيد الحداد عند المراهق وذلك باختبار خصوصية مرحلة المراهقة وسن الفقد.

2. أهمية الدراسة

1.2الأهمية النظرية: إثراء البحث العلمي الأكاديمي بدراسات في مجال عمل الحداد ومعالجة الفقدان، كما يساهم في توليد أفكار لمشاريع بحثية أخرى للباحثين، لاسيما المتعلقة بدراسة المؤشرات المرضية لتعقيد الحداد.

2. 2الأهمية التطبيقية: تسمح لنا نتائج الدراسة الحالية بتوضيح تظاهرات الحداد ميدانيا مما يسمح بالتشخيص الدقيق لمراحله، مما يساعد المختصين والممارسين العياديين بوضع استراتيجيات وقائية للتدخل والتكفل المبكر بهذه الفئة من الأطفال والمراهقين الأيتام، أو بناء برامج ارشادية وعلاجية لهم لتجاوز صدمة الفقد ومرافقتهم لاجتياز حداد سوي.

3. مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها

تضمنت الدراسة الحالية مصطلحات أساسية وجب تحديد مفهومها وفقا لمقتضيات الدراسة، وقد اشتملت على ما يلي:

1.3الحداد

- **تعريف الاصطلاحي للحداد:** يعرف لابلونش وبونتاليس (Laplanche et Pontalis, 2016) الحداد على أنه الية نفسية داخلية تعقب فقدان موضوع التعلق يستطيع الفرد من خلالها الانفصال عنه تدريجيا.
- **تعريف الإجرائي للحداد:** يعرف الحداد النفسي في هذه الدراسة على أنه الوظيفة النفسية التي تعقب فقدان موضوع الحب (فقد أحد الوالدين).

2.3 المراهقة

- **التعريف الاصطلاحي للمراهقة:** تعرّف المراهقة بأنها:"الاقتراب من النضج الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي، ولكنه لا يصل الى اكتمال النضج إلا بعد سنوات قد تصل إلى عشر سنوات"(الميلادي،2008، ص15).

- **التعريف الاجرائي للمراهقة:** نقصد بالمراهقة في الدراسة الحالية هو تلك المرحلة العمرية الممتدة ما بين 13 الى 18 سنة.

3.3الفقد الوالدي

- **التعريف الاصطلاحي للفقد الوالدي (اليتم):** جاء في لسان العرب لابن منظور أن اليتم يعني الانفراد، والميتم: المفرد من كل شيء، واليتم: فقدان الأب، وقال ابن السّكيت أن اليتم في الناس من قبل الأب وفي البهائم من قبل الأم ولا يقال لمن فقد الأم من النّاس يتيم ولكن منقطع، وقال القرطبي: اليتم في بني آدم بفقد الأب، وفي البهائم بفقد الأم، وحكى الماوردي أن اليتيم يُقال في بني آدم في فقد الأم، والأول المعروف (محمد علي، 2001، ص 19).
- **التعريف الاجرائي:** نقصد بالفقد الوالدي في الدراسة الحالية هو ذلك المراهق الذي فقد أحد والديه أوكلاهما في سن مبكر (مرحلة الطفولة).

4. حدود الدراسة

تتمثل حدود هذه الدراسة فيما يلي:

- **الحدود الموضوعية:** تمثلت هذه الدراسة في التعرف على تظاهرات حداد ما بعد الفقد الوالدي.
- **الحدود البشرية:** تم إجراء هذه الدراسة على حالة مراهق يتيم كنموذج.
- **الحدود الزمانية:** تمت هذه الدراسة مارس 2021 الى غاية جوان 2021.
- **الحدود المكانية:** تم إجراء هذه الدراسة على مستوى مؤسسة تربوية (ثانوية بولاية الشلف).

5. الإجراءات الميدانية للدراسة

1.5 المنهج: تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج العيادي الذي يسمح لنا بدراسة الفرد دراسة معمقة، والذي يمكننا من معرفة المعاش الشخصي والذاتي لحداد المراهق اليتيم ومنه ملاحظة تظاهرات الحداد بأكبر دقة ممكنة.

يقوم المنهج العيادي على "دراسة الحالة" للفرد بشكل معمق من خلال تجميع معلومات عديدة عن طريق أدوات معينة تفرضها طريقة دراسة الحالة حيث تم اعتماد الأدوات التالية:

2.5الملاحظة العيادية المباشرة: هي وسيلة هامة وأساسية للحصول على المعلومات، وتعتبر أيضا أداة أساسية تكمل المقابلات والاختبارات وتشتمل على ملاحظة السلوكات المراد دراستها، وهي أنواع منها الملاحظة المباشرة وغير المباشرة (عباس،1998، ص 20). حيث حاولنا من خلالها رصد كل من المظهر والسلوك العام، النشاط النفسي الحركي، كلام المبحوث، المزاج، الوجدان، مضمون أفكار المبحوث، الانتباه والتركيز لدى المبحوث، ذاكرة المبحوث.

5. 3المقابلة العيادية البحثية: إن هذا النوع من المقابلة مستعمل عادة كوسيلة لإدماج معطيات في البحث في علم النفس العيادي مع قدر كبير من التخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهو يمثل وسيلة هامة لا يمكن استبدالها لكونها مصدر لمعلومات ذاتية للأفراد: بيولوجية، الأحداث المعاشة، تصورات، معتقدات، انفعالات، تاريخ شخصي، ذكريات، إلخ، أما كونها عيادية فهذا لأنها تبعث إلى:

- مجال ممارسات وتدخلات المختص النفساني العيادي المهتم بصفة عامة بميدان المساعدة.
- سلوك عيادي (التركيز على الفرد، الفهم، الحياد اللطفي، الاحترام) والتي ترتبط بسيرة منهجية تهدف إلى التعرف العميق لفرد ما ولسلوك خلقي أمام فرد في حالة معاناة نفسية.

يتم استعمال المقابلة العيادية البحثية في حالة نشاط بحث عيادي فقط، أين لا يكون هناك هدف علاجي أو تشخيصي، لكن يرمي إلى زيادة المعارف في ميدان خاص مختار من طرف الباحث، فهو ناتج عن مبادرة من هذا الأخير، خلافا لما هو في مقابلة العلاج أين يكون الفرد في حالة طلب مساعدة (Chiland and Coll, 1983,P 118).

غير أنه، وبالنظر للمنهج المتبنى ومنه الأهداف المحددة لدراستنا، اخترنا المقابلة البحثية النصف الموجهة يعني بدلا من أن نقدم محورا ونترك حرية التعبير للعميل كما في المقابلة غير الموجهة في منظور نوعي/تأويلي سنقدم مقطوعات من المحور الأساسي يعني محاور فرعية وهي أسئلة مفتوحة نسبيا والتي تكوّن النقاط الهامة للكشف عن أغراض الدراسة.

تكوّن هذه المحاور الفرعية ما يسمى "دليل المقابلة" (Guide d'entretien)، والمقصود هو ترك أكثر حرية ممكنة للعميل للتعبير على المحاور المقترحة عليه مع احترام تعبيره التلقائي إلى أقصى حد وفي نفس الوقت توصيله إلى مختلف المحاور لتحقيق أغراض الدراسة. حيث تم بناء "دليل المقابلة" عن طريق تحديد المحاور التي تسمح بالحصول على المعطيات المناسبة لتحقيق الهدفين المسطرين في الدراسة.

فيما يخص معرفة معاش الحداد في مختلف تظاهراته: أخذنا تصنيف تظاهرات الحداد المتفق عليه من طرف الباحثين والذي عرضته زك Zech (2006) وهي التظاهرات العاطفية، السلوكية، المعرفية، الاجتماعية والجسدية وحوّلنا كل صنف من التظاهرات إلى سؤال مفتوح.

فيما يخص التأكد من مؤشر الزمن، أن الحداد هو حداد مطول قمنا بطرح سؤال مباشر حول استمرارية أو عدم استمرارية التظاهرات الخمسة السابقة الدالة على وجود حداد.

استهلت المقابلة، بسؤال عام مفتوح (حدثني عن حدث وفاة والدك وكيف عشته وتعيشه حاليا؟) مرفوق بأسئلة فرعية متعلقة بالمحاور التالية:

1) **محور التظاهرات العاطفية:** بماذا أحس؟ وبماذا شعر؟ لما عرف بوفاة (س)
2) **محور التظاهرات السلوكية:** ماذا فعل؟، وكيف تصرف؟
3) **محور التظاهرات المعرفية:** يهتم بالخلط العقلي (La désorganisation mentale) بالإضافة إلى الهلاوس المتعلقة برؤية وسماع المفقود (هل سبق لك وان تخيلت أمور غريبة أو سمعت أصوات تتعلق بالشخص المفقود؟
4) **محور التظاهرات الاجتماعية:** ماذا غيرت حادثة الفقدان في حياته الاجتماعية وعلاقته مع الآخرين؟
5) **محور التظاهرات الجسدية:** يخص الاضطرابات الفيزيولوجية التي حدثت بعد الفقدان مثل اضطرابات في النوم أو في الشهية.

البعد الزمني لمختلف تظاهرات الحداد: مدى استمرار الاستجابات المتعلقة بالمحاور السابقة في الزمن، وهل اختلفت حاليا أم لا، وذلك اعتمادا على سلم تقييمي ذاتي للمبحوث حدد افتراضا (تناقصت- زادت- نفس الشيء)

علينا الإشارة إلى أننا كيّفنا هذا الدليل على حساب اللغة المستعملة من طرف الحالة، وحسب اختلاف الشخص المفقود (أم أو أب أو كلاهما)، كما أننا اضطررنا في بعض الأحيان إلى إضافة توضيحات لتشجيع الحالة للكلام أكثر، في حالة ما اتسم المراهق بالكف الشديد.

5. 4 حالة الدراسة

اقتصرت الدراسة على حالة واحدة كنموذج من الأطفال الأيتام، تم اختيارها قصديا وفقط شروط تمثلت في:

أ/ السن: تم اختيار أفراد دراستنا على أساس السن المناسب لسن المراهقة الذي يتراوح ما بين 13سنة و18سنة، حيث أن الفقدان كان في سن الطفولة 9-12 سنة دون التركيز عن رتبة المراهق داخل عائلته.

ب/ فقدان أحد الوالدين أو كليهما: كان شرط أساسي في انتقاء حالة الدراسة حيث نجد على الأقل أحد الوالدين متوفى في ظروف عادية.

حيث تمثلت خصائص حالة الدراسة الحالية في كونها فتاة تبلغ من العمر 18 سنة يتيمة الأم، أين فقدت أمها وهي بعمر 12سنة.

5. 5 طريقة تحليل المحتوى

بعد عملية جمع المعطيات من خلال المقابلة البحثية النصف الموجهة، اعتمدنا على طريقة تحليل المحتوى الذي يكوّن المنهج الأكثر شيوعا لمعالجة محتوى مقابلات نوعية يعني مادة كثيفة ومعقدة.

عرف باردين Bardin (1977) تحليل المحتوى على مجموعة من الأدوات المنهجية التي يتم تحسينها أكثر فأكثر وباستمرار والتي تطبق على "الخطاب" مهما اختلفت أنواعه، تعتمد على طريقة الاستنتاج (Déduction) والاستدلال (Inférence). ويتعلق الأمر بجهد تفسيري ينتقل بين قطبين، من جهة صرامة الموضوعية ومن جهة أخرى الوفرة (La fécondité) التي تقدمها الذاتية (Wanlin, 2007,P 249).إذا فتحليل المحتوى هي طريقة منهجية موضوعية لتحليل المحتوى الذاتي (Subjectif) ،وحسب وانلين Wanlin (2007) تنقسم طريقة تحليل المحتوى إلى ثلاث خطوات:

1- **ما قبل التحليل (Pré-analyse): تعتبر** خطوة ما قبل التحليل الخطوة الأولى لتنظيم وتفعيل الأفكار الأولية (Opérationnaliser) قصد الوصول إلى مخطط أو خطة تحليل وتشمل هذه الخطوة ثلاث مراحل:

أ-اختيار نوعية المعطيات التي سيتم تحليلها (كتابية، مسجلة،...إلخ).

ب-وضع الأهداف التي تهدف للحصول عليها.

ج-تحديد المؤشرات التي تدل على هذه الأهداف.

في الدراسة الحالية، تمت هذه الخطوة من خلال جمع وتحليل معطيات المقابلات المسجلة كتابيا، والتي صممت أساسا لتحقيق الأهداف لا سيما تظاهرات الحداد المختلفة التي وصفتها زك Zech (2006)، وبالنسبة للمؤشرات فقد وضعنا المؤشرات التي تسمح لنا بالتأكد من وجود مختلف التظاهرات.

2- **استغلال المعطيات:** تعتمد خطوة استغلال المعطيات والتي هي خطوة محورية في تحليل المحتوى على معالجة مجموع المعطيات للسماح لنا بالوصول إلى المعنى الذي يجيب على مشكلة الدراسة الحالية وتشمل هذه الخطوة مرحلتين:

- **المرحلة الأولى: بناء أو تطبيق شبكة فئات (Grilles de catégories):** وتشمل جمع المعطيات المتشابهة تحت فئة واحدة وفق معايير محددة مسبقا من أجل توفير تقديم مبسط للبيانات الخام.
- **المرحلة الثانية: ترميز الوحدات التي سنطبق عليها الفئات:** تمت هذه الخطوة من خلال بناء شبكة التحليل (والتي تحتوي على الفئات) على أساس المعطيات النظرية كمعيار، حيث كانت الفئات المختلفة تتمثل في التظاهرات المختلفة للحداد التي وصفتها زك Zech، وكان ترميزنا

للوحدات التي سنصنفها إلى تظاهرات الحداد المختلفة (الفئات المختلفة) مبنيا أيضا على الوصف النظري لمختلف الأجزاء التي تظهر في كل تظاهر من تظاهرات الحداد. تظهر هذه الخطوة بوضوح خلال بعض أجزاء عرض نتائج التحليل المحوري لمختلف المقابلات، أما الأجزاء المتبقية التي احتواها التحليل فهي تشمل الخطوة الموالية.

3- المعالجة، الاستدلال، والتفسير: في هذه الخطوة يتم استكمال ما بدأ في المرحلة السابقة حيث تتم معالجة المعطيات الخام بطريقة تجعلها ذات دلالة ومصداقية، حيث يشمل هذا العرض المرمز (Codés) لكل وحدة ثم الاستدلال الذي يظهر مختلف المؤشرات وبالتالي يؤكده كون الاستدلال هو عملية منطقية تأتي لتبرير صحة ما نقدمه بخصوص الموضوع المدروس، وفي الأخير تكون هناك مرحلة تفسير النتائج المحصل عليها من خلال الاعتماد على البيانات التي كشفها التصنيف لبناء قراءة أصلية وموضوعية للمعطيات المدروسة.

تمت هذه الخطوة في الدراسة الحالية من خلال عرض النتائج بطريقة مرمزة (الخطوة السابقة) ثم تقديم الاستدلالات عن طريق "مقولات" مقتطعة من خطاب المبحوث كما يظهر في مرحلة التحليل المحوري لنتائج المقابلات. أما فيما يخص تفسير النتائج فيظهر هذا جليا في خطوة عرض وتفسير النتائج التي سنقوم بها في كل حالة على حدى ثم خلال التحليل العرضي للحالات.

6. عرض ومناقشة النتائج

1.6 عرض وتحليل الحالة

تبلغ الحالة **فتيحة** 18 سنة من العمر، تزاول دراستها في السنة الثالثة ثانوي، شعبة آداب وفلسفة، فقدت أمها وهي في سن الثانية عشر، ويكفلها أبوها، تسكن في مسكن شعبي بمنطقة الشارة مع عائلتها المكونة من الأب و4 أربعة إخوة (3 إناث، 1 ذكر)، وهي في المرتبة الثالثة.

- **المظهر الخارجي والسلوك:** فتاة متوسطة القامة، وذات بنية نحيفة. يبدو عليها القلق والألم أثناء قصها لما حدث، وكثرة ضغطها على يديها؛ الحالة مرتبة المظهر وملابسها مناسبة، ونظيفة.
- **الوظائف النفسية:** تعبر الحالة عن أفكارها بسرعة وتفصيل مع أفكار مفهومة ومنطقية، وتقدم أجوبة تتناسب مع الأسئلة المطروحة عليها؛ لغتها بسيطة، واضحة، وتستخدم في الأغلب الدارجة؛ مدركة لواقعها وحالتها النفسية، وتعبر عنها بكل تفصيل.
- **الوظائف العقلية:** لحالة سريعة الفهم والاستيعاب، وذكاءها عادي وسليم. الانتباه والتركيز سليم؛ ذاكرتها قوية بحيث تتذكر أحداث طفولتها ووفاة أمها بشيء من التفصيل.
- **الوظائف الاجتماعية**: علاقاتها الاجتماعية تقتصر على أفراد الأسرة، وعلاقتها مع زملائها في الثانوية عادية، خاصة مع أشخاص مروا بنفس المعاناة.

سير المقابلة

تم تخصيص المقابلة الأولى مع الحالة بغية التعرف على الحالة من خلال جمع المعلومات الأولية (الاسم، والسن، والترتيب في العائلة، والمستوى الدراسي، ونوع اليتم، وسن الفقد)، وبناء جو من الثقة والتقبل والاستعداد للعمل معنا، كما شرحنا موضوع المقابلة التي تليها أين تم امضاء استمارة الموافقة المستنيرة. كانت الحالة متعاونة ومتجاوبة معنا منذ أول لقاء ووافقت على التعامل معنا دون تردد، في حين خصصت المقابلات الثلاثة التالية للتطرق لمختلف محاور الدليل.

في حديثها عن حادث الوفاة تقول الحالة بعد ميلاد أخوها الصغير بعامين بدأت صحة أمها تتدهور وتفاقت حالتها بسرعة الى ان توفيت فحسب تصريحها: "*ماما كانت نورمال بصحتها عادي، هي من*

نهار ولادة خويا الصغير، مازادتش صابت صحتها، خطرة خطرة عند الطبيب، حتى لواحد نهار حست بآلام شديدة على مستوى البطن، داها أبي للسبيطار تاع الشطية شدوها عندهم على مستوى مصلحة الطب الداخلي (نساء) لمتابعة العلاج، في هذه المدة كانت أختي الكبيرة هي التي تقوم بشؤون البيت والاعتناء بخويا الصغير، مكثت أمي بالمستشفى حوالي أسبوع بعدها تم نقلها إلى مستشفى فرانس فانون بالبليدة، فما عرفنا بلي أمنا دايم الله في ملكه ...بكاء، ماكملتش ثلاثة أيام فما وماتت، الله يرحمها".

التحليل المحوري لمحتوى المقابلات

من خلال تحليل محتوى الخطاب الذي قدمته الحالة، ورصد جميع الملاحظات العيادية لسلوكات الحالة والتعابير الجسدية والايمائية خلصنا الى وجود عدة مظاهر للحداد تمثلت فيما يلي:

- **المظاهر العاطفية:** أظهرت معطيات المقابلة مواصلة فتيحة المظاهر العاطفية كالحزن، والبكاء في المناسبات ولكن أيضا خارج المناسبات، (بشكل أكثر في المناسبات)*."كي تجيني الدمعة متحبسش"، "في المواسيم هكا رمضان والعيد نزيد نتأثر كثر".*

واتضح من خلال أقوال المبحوثة وجود شعور كبير بالذنب تجاه نفسها وبالغضب تجاه القدر الذي أخذ أمّها *"علاه علاه، راحت وخلاتني صغيرة"*، بالإضافة إلى أننا لاحظنا ازديادا في الحركة وتعبيرات وجهية تدل على شعور بالألم حين تتحدث عما سمته صراعا نفسيا بين الفقدان والتمني لو كانت حاضرة هنا معها وهو الأمر الذي سنتطرق إليه في المحور المعرفي.

- **المظاهر السلوكية:** فيما يخص الجانب السلوكي، فقد أظهرت المعطيات المتحصل عليها وجود نوعين من الاستجابات:

-الاستجابة الأولى وتتمثل في استمرار الحالة في القيام بالروتين المنزلي كما لو كانت الأم حاضرة، فهي مثلا: تقوم حتى اليوم بوضع صحنها فوق الطاولة خاصة في شهر رمضان، بالإضافة إلى المحافظة على أغراضها: *"لحد الآن toujours نحطلها الطبسي والكاس اللي كانت تاكل فيه وتشرب فيه، حوايجها الآن مزالهم في الخزانة، الكواغط تواعها مزالهم".*

-فيما تمثلت الاستجابة الثانية في الذهاب كل جمعة إلى القبر:*"كل جمعة روح للمقبرة، نقعد عند قبرها ونبكي، ينوضوني بصيف ويطلعوني للدار".*

- **المظاهر المعرفية**: في الجانب المعرفي، نلاحظ وجود مشاعر الرفض وعدم التقبل لدى الحالة والذي عبرت عنه بمصطلح "صراع نفسي" بين واقع الفقدان من جهة، وتمني أنها حية وحاضرة معها من جهة أخرى، حيث كررت عدة مرات هذا المصطلح وعندما سألها الباحث عما تقصد به قالت: *"نقول ممكن هذي شدة وتجوز هذا مكتوب، ومباعد نقول غير كون راهي معايا"*، بالإضافة إلى هذا هناك استمرار في ظهور الاستجابات المعرفية التي تكون في المراحل الأولى لعمل الحداد والمتمثلة في مواصلة الحديث مع المفقودة كما لو أنها لا تزال حية، وهذا إلى حد اليوم (أي بعد 6 سنوات من الفقدان) حيث تقول فتيحة: *"مين ذاك نكون نهدر وحدي، في الدار يقولولي معمن راكي تهدري؟ منجمش نقولهم بلي معاها، ومين ذاك نصيبهم هكا يخزرو فيا، نقولهم كي تشوفوني نهدر ماتقاطعونيش خلوني نهدر، لقيباش نحس روحي رتحت"*

- **المظاهر الجسدية:** من الجانب الجسدي أظهرت فتيحة اضطرابات في النوم والتغذية حيث تقول: *«مكنتش نرقد، في بعض الأحيان والله عندي يومين ثلث إيام حتى نولي نمرض، شغل النوم راحلي"*، أما فيما يخص التغذية*"ناقصة ناقصة، أنا في روحي ماكلتي قليلة".*
- **المظاهر الاجتماعية:** فيما يخص المحور الاجتماعي فتظهر المعطيات أمرين أساسيين:

أولا: انشقاق في العائلة بين عائلة الأم وعائلة الأب بسبب قضية التعويضات (الفريضة) مما أدّى إلى انعزال العائلة: *"أقرب الناس ليه شغل شوية أنجبدوا بالبزاف مابقيناش عايلة متلمة، رانا عايلة متفرقة"*.

ثانيا: إقامة علاقات جديدة مع الأشخاص الذين عايشوا نفس الظروف والأحداث حيث صرحت:*"رجعنا كما العايلة الواحدة، خاصة صحبتي تقرى معايا صرالها كما صرالي"*.

- **استمرار تظاهرات الحداد مع الزمن:** تبين تصريحات الحالة وجود واستمرار كل تظاهرات الحداد تقريبا حتى اليوم دون أن يكون هناك نقص أو تراجع ملحوظ أو محسوس لهذه المعاناة رغم المدة الطويلة (6 سنوات). فخطاب الحالة يدل بشكل واضح على هذا الاستمرار: *"ومين ذاك نكون نهدر مع روحي ولا مع خواتاتي نقولهم مرت ست سنين لكن أنا نحس بلي لبارح برك"*. وبعد محاولة الباحث تحديد قصد المبحوثة من هذا التصريح حيث توصل الى أن الحالة لاتزال تشعر بنفس الألم والمعاناة تماما كما كانت بعد الحادث مباشرة، حيث صرحت قائلة*:" الألم، يعني نقول راني في اليامات الأولى تاع الموت"*.

بالإضافة إلى كل ما أشرنا إليه من تواصل واستمرار المظاهر المعرفية، والسلوكية إلى يومنا هذا. يمكننا أن نلّخص مجمل التظاهرات العيادية عند الحالة في الجدول التالي:

جدول رقم1: مظاهر وطبيعة الحداد عند فتيحة

محاور تظاهرات الحداد	وحدات المعنى (المؤشرات التي تظهره)
الجانب العاطفي	الحزن، البكاء، الشعور بالذنب، الغضب، الشعور بالكره
الجانب السلوكي	وضع طبقها على الطاولة، الذهاب إلى القبر
الجانب المعرفي	تخيل سماع المفقود، مواصلة الحديث مع المفقود، الشعور بصراع الفقدان وتمني لو كان حاضرا معي
الجانب الجسدي	تغيرات فيزيولوجية: اضطرابات في التغذية، اضطرابات في النوم
الجانب الاجتماعي	تغيرات اجتماعية، صراعات مع الأسرة، بناء علاقات مع أشخاص مروا بنفس المعاناة
الجانب الزماني	استمرار أغلب الجوانب حتى اليوم وبدون وجود تحسن ذي دلالة إكلينيكية

مما سبق يمكننا أن نستخلص أن الحداد الذي تعيشه الحالة فتيحة لم يبلغ بعد المرحلة الأخيرة 'مرحلة التقبل' التي تسمح للفرد باستعادة التوازن النفسي وهذا بعد 6 سنوات من الفقدان، فهو إذا مؤشر على وجود حداد معقد (مطوّل) وبهذا نكون قد حققنا أهداف دراستنا.

2.6 مناقشة النتائج

اعتمادا على النتائج المتوصل إليها من خلال تحليلنا للمقابلات لحالة الدراسة، تم التأكد من صحة فرضيات الدراسة، وسنتطرق فيما يلي إلى مناقشة وتفسير ما توصلنا إليه من نتائج في ضوء الدراسات السابقة والجارية.

1) **تظاهرات الحداد لدى المراهق الفاقد اليتيم:** من أجل اختبار الفرضية التي تنص على " تتمثل تظاهرات الحداد لدى المراهق اليتيم في التظاهرات العاطفية، السلوكية، المعرفية، الجسدية، والاجتماعية". حيث خلصت نتائج تحليل المقابلات الى تحقق هذه الفرضية، حيث يبين تحليل معطيات المقابلة مع الحالة فتيحة عدم انتهاء عمل الحداد حيث ظهر غياب واضح للتحسن فيما يخص معاناة الحداد منذ وفاة الأم منذ 6 سنوات والتي تعتبر مدة طويلة، هذا يدل بوضوح على وجود مؤشرات لحداد "مطوّل"، أو ما يسمى "تعقيدات الحداد" حسب الأدبيات العلمية في الموضوع.

ومن بين مختلف تظاهرات الحداد التي تعيشها فتيحة استمرار الحاجة في الذهاب إلى القبر وتمني أنها حية حاضرة معها، ربّما الأمر الذي يستطيع تفسير عدم قدرتها على الخروج من معاناة الحداد،

ويظهر هذا جليا في المظاهر السلوكية والمعرفية. حيث وجدنا كل مظاهر الحداد في مختلف أبعاده المتفق عليها من طرف جل الباحثين في مجال الحداد، اتفقت النتائج مع ما جاءت به زيك ((Zech, 2016 في كتابها علم نفس الحداد بذكر تظاهرات الحداد التي اتفق عليها كل الباحثين والتي تتمثل في: تظاهرات عاطفية، تظاهرات سلوكية، تظاهرات معرفية، تغيرات فيزيولوجية، تظاهرات جسدية، تظاهرات اجتماعية. وهذه النتائج تقوي مصداقية هذا النموذج (نموذج تظاهرات الحداد) كونه تحقق في بلد وثقافة مختلفين، ما يقوي أيضا فكرة "عالمية الحداد". كما تماشت هذه النتائج تماما مع ما جاء به كروك (Crocq, 2007) حيث يتميز حداد في مرحلة الطفولة بالقلق الذي يصل إلى اضطرابات رهابية، الشعور المستمر بالذنب مع تضارب المشاعر تجاه المتوفي-حب وكراهية- مع مظاهر العدوان.

2) **خصوصية المرحلة العمرية وسن الفقد:** من أجل اختبار الفرضية التي تنص على " تؤدي خصوصية المرحلة العمرية (المراهقة) وسن الفقد إلى تعقيد الحداد ومؤشر لحداد مزمن لدى المراهق اليتيم. حيث خلصت نتائج التحليل العرضي المقارن للحالة الى تحقق هذه الفرضية حيث تتجلى خصوصية المرحلة التي تمر بها فتيحة وسن فقدها لأمها أدى بها بعد كل هذه المدة إلى توقف سيرورة الحداد عندها وبقيت في أول مراحله والمتمثلة في الحزن وعدم التقبل والاحساس الدائم بمرافقتها لها مع ظهور تخيلات و أصوات من أمها تنا تناديها، الحديث اليها وكأنها موجودة مع استمرار السلوكات الروتينية اليومية لحياتها معها قبل الفقدان كتحضير صحنها؛ والحفاظ على أغراضها، حيث تعكس كل هذه المظاهر معاناة حقيقية إعاقة لعمل الحداد اذ يعلب كل من خصوصية المرحلة وسن الفقد مؤشرا لوجود حداد معقد.

تبعثنا هذه النتائج إلى تأكيد ما وجدناه في بعض الأدبيات (Bacqué, 1997) للعوامل التي تساهم في جعل الحداد معقدا. وكذا الأبحاث التي تؤكد على صعوبة اجتياز عمل الحداد في سن مبكرة، فليس خصوصية المرحلة العمرية وسن الفقد هي الشروط الوحيدة بل نوعية العلاقة الموجودة مع الوالد المفقود هي كذلك قادرة على تغيير مجرى عمل الحداد. لكن، يجب أن نشير إلى أن تلك النتائج قد تكون نفسها عند أغلبية المراهقين، فكان من الصعب التمييز بين ما هو عادي وبين ما هو خاص بتلك الفئة المدروسة، فربما كان من الأفضل إقامة دراسة مقارنة لتوضيح ذلك جليا. كما توافق كل ما جاء به لوبوفيسي (Lebovici, 2002)في مقاله " عمل الحداد عند الطفل" مع نتائج دراستنا، حيث أكد أن الطفل مؤهل للقيام بحداد شبيه بالذي يقوم به الراشد الا أن حداد الطفل يتميز بخصوصية حيث أنه يزيد قلقه من معايشة مواقف فقدان أخرى على مدلى بعيد وكذا الشعور بالذنب خاصة إذا وجهت إليه اتهامات صريحة.

إلى جانب ذلك، عامل الوقت الذي مر على الفقد له تأثير على إرصانه على المدى البعيد، وهذا قد لا يسمح بفهم دقيق، فعامل الوقت الكافي له دور مهم في عمل الحداد والوصول إلى مرحلة التقبل. ذلك أن، المراهقة مرحلة نمو والميزة الأساسية للنمو هو التغير فعلى حد قول Winnicott "المراهق غير ناضج والحل الوحيد لعدم النضج هو الوقت". فيا ترى، إلى أي مدى يمكن أن يكون عامل الزمن الذي بحوزة المراهق اليتيم يسير في التئام جراحه، فيتعافى تدريجيا، وتبرز على أنقاض ذلك حياته النفسية أقوى وأمتن؟

كما اتفقت ضمنيا مع دراسة تتوافق هذه النتائج من دراسة (السراج، 2011)فلسطين التي هدفت إلى معرفة العلاقة بين استجابة الحزن والتوافق النفسي وبعض المتغيرات الأخرى لدى الأطفال بعد الحرب الأخيرة على غزة ، تكونت العينة من 20 تلميذ و تلميذة منهم 10 تلاميذ و 10 تلميذات من

المرحلة الابتدائية والإعدادية وهم من التلاميذ الذين فقدوا أقارب من الدرجة الأولى (أب، أم، أخ، أخت)، أسفرت النتائج عن 14 بالمئة من الأطفال يستمتعون بذكريات جيدة عنهم و 35 من الأطفال يشعرون أنهم مصدومين لوفاتهم و يشعرون أن جزء منهم قد توفى مع الشخص الذي فقدوه و 28.9 بالمئة لا يتقبل أنه مات فعلا و 28,4 يعتقدون أنهم سوف يرونه أو يسمعوا عنه أو يشعرون بوجوده و 26,5 يرون أن ذكريات عنهم تعطيهم الدعم.

خاتمة:

انطلقت الدراسة الحالية بهدف تناول موضوع عمل الحداد ومختلف تظاهراته لدى المراهق الفاقد لوالديه (اليتيم)، ونظرا لحساسية اليتم وللأثر الذي يتركه على شخصية المراهق، خصوصا مع مميزات مرحلة المراهقة، وسن الفقد (في الطفولة)، ونظرا لأهمية الموضوع كانت هناك عدة دراسات تناولت هذا الموضوع، حيث تناولت علاقة الحداد بالمحيط والظروف التي حدثت فيها الوفاة في الدراسات الجزائرية أين خصصت أغلب دراسات الحداد لآثار مرحلة الاضطرابات الأمنية السياسية والاجتماعية التي عاشتها البلاد في التسعينات، العنف الإرهابي ضد الطفولة والمراهقة علامات الصدمة والحداد في الاختبارات الإسقاطية، الحداد عند ضحايا الإرهاب، الآثار النفسية لعمل الحداد لدى المراهق اليتيم...، إلا أن الدراسة الحالية للموضوع هدفت الى دراسة تظاهرات وطبيعة الحداد المتعلق بخصوصية المرحلة العمرية وسن الفقد وسن الفقد من العوامل المؤدية إلى تعقيد الحداد (مؤشر الزمن) لدى المراهق اليتيم.

لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة والإجابة على تساؤلاتها تم الاعتماد على المنهج العيادي وأدواته المتمثلة في الملاحظة العيادية والمقابلة العيادية البحثية النصف الموجهة وطريقة تحليل محتوى الخطاب، حيث طبقت الدراسة على حالة كنموذج من المراهقين الأيتام تم اختيارها من الوسط المدرسي المفتوح بطريقة قصدية.

وبعد تحليل محتوى المقابلات خلصت النتائج الى:

1- يعاني المراهق اليتيم من تظاهرات حداد عاطفية و جسدية ومعرفية وسلوكية والاجتماعية.
2- وجود استمرار دون أي تحسن ذي دلالة إكلينيكية في جل تظاهرات الحداد عند الحالة، ما يؤكد قوة العلاقة بين الحداد المعقد وخصوصية المرحلة العمرية (المراهقة) وسن الفقد فهو بذلك يلعب دور مؤشر لتعقيد الحداد.

إلاّ أنه تبقى نتائج هذه الدراسة محدودة في حدود دراسة الحالة المتعددة من جهة، إضافة إلى الحدود التي أجبرنا عليها الميدان من عدد محصور وقلة التنويع من جهة أخرى، تجعل نتائج دراستنا غير قابلة للتعميم. لكن دراسة الحالة المتعددة لا تستثني إمكانية إحداث "نوع من التعميم" يبنى على وجود تماثل في النتائج بين حالات فردية مختلفة، ويسمح بالخروج بفرضية جيدة يجب التأكد منها خلال بحوث كمية موضوعية قد تسمح بالتعميم.

على ضوء نتائج الدراسة، يمكننا القول إن النتائج المتشابهة والمتمثلة في كون الحداد المعاش من حالة الدراسة الحالية هو حداد معقد من النوع المطول تجعلنا كمختصين في علم النفس العيادي نوصي بضرورة وجود عمل مختص للقيام بالتكفل النفسي والتخفيف من معاناة الحداد المطوّل الذي يعيشه المراهق اليتيم والوصول به إلى تجاوزه كما توصي الدراسة الحالية من خلال ما تم ملاحظته في الميدان وما توصلنا له من نتائج ثانوية للبحث، الذي يمكن للباحث أن يتطلع للبحث فيها مستقبلا، وذلك لفهم الجانب النفسي للمراهقين الأيتام، منها:

- بناء برامج ارشادية لمرافقة الأطفال والمراهقين الايتام باختلاف سبب وفاة أولياؤهم.

- توعية المربين والمعلمين والمتكفلين بما يمكن أن يحدثه فقدان أحد الاولياء مع ضرورة الانتباه الى تلك التغيرات والتدخل فور ملاحظتها.
- تنشيط وتفعيل دور الاخصائيين النفسانيين على مستوى المدارس.

كما يمكن اقتراح بعض الموضوعات للدراسة مثلا:

- دراسة مقارنة بين التوظيف النفسي عند مراهقين فقدوا أحد الأولياء في الطفولة مع مراهقين لم يفقدوا أحد الأولياء.
- دراسة الصحة النفسية و جودة الحياة عند المراهق اليتيم.
- دراسة مقارنة عمل الحداد عند مراهقين أيتام من الجنسين.

قائمـــة المراجع

- جابر، إيمان. (2014). *الآثار النفسية للحداد لدى المراهق اليتيم*، رسالة ماستر (غير منشورة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة: كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس.

- زقار رضوان. (2014). *الإنتاج الإسقاطي عند اليتيم*، استرجعت بتاريخ 2018/01/06 من موقع: https://www.facebook.com/groups/2022581774635190/?ref=br_rs

- السراج، هالة صلاح محمد (2011). *استجابة الحزن والتوافق النفسي لدى الأطفال بعد الحرب الأخيرة على غزة وعلاقتها ببعض المتغيرات*، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية – غزة . *http://hdl.handle.net/20.500.12358/20562*

- سعدوني غديري، مسعودة. (2011). *مصير الأطفال المصدومين من جراء العنف ماذا بعد التكفل النفسي*، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

- سي موسي، عبد الرحمان وزقار، رضوان. (2015). *العنف الإرهابي ضد الطفولة والمراهقة: علامات الصدمة والحداد في الاختبارات الإسقاطية*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- عباس، فيصل. (1998). *الشخصية ودراسة الحالات (المناهج، التقنيات، الإجراءات)*، ط1، بيروت: دار الفكر العربي.

- محمد علي، عبد الحكيم. (2001). *اليتيم بين الكتاب المقدس والقرآن الحكيم: دراسة مقارنة*، مصر: مكتبة الآداب.

-الميلادي، عبد المنعم. (2008). *المراهقة سن التمرد والبلوغ*، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.

-Barbot, M. (2011). *Processus de deuil et Masso-kinésithérapie : quelles approches adaptées,* travail écrit en vue de l'obtention du diplôme d'Etat de Masseur-kinésithérapeute, Institut Régional de formation sanitaire et social du Limousin, France. Récupérer 22/02/2018, sur : https://kinedoc.org.

-Bertrand, M. (1996). *Pour une clinique de la douleur psychique,* France : Edition l'Harmattan.

-Chilland, C & Coll. (1983). *L'entretien clinique,* Paris : Presses universitaires de France.

-Crocq, L. (2007). *Trauma psychique prise en charge psychologique des victime***,** Belgique : Elsevier Masson.

-Emmanuelli, M & Azoulay, C. (2001). *Les épreuves projectives à l'adolescence, approche psychanalytique***,** Paris : Dunod.

-Hanus, M. (1997). *Les deuils dans la vie, deuil et séparation chez l'adulte, chez l'enfant,* Paris : Maloine.

-Laplanche, J & Pontalis, J. (2016). *Vocabulaire de psychologie*. Paris : PUF

-Lebovici, S. (2002*). Le travail de deuil chez l'enfant*. Sous la direction de Amar, N. couvreur. & hanus, M. Algérie : SARP.

-Luis-Vincent, T. (1995). Leçon pour l'occident : Ritualité du chagrin et du deuil en Afrique noire, *dans T. Nathan*, *Rituel de deuil et travail du deuil*, France : La pensée sauvage, pp17-56.

-Montgolfier, T. (2010). *Deuil et médecine général : enquête auprès de 244 endeuillés adultes,* thèse de doctorat en médecine, université Paris Descartes. Récupérer 27/12/2017 sur : https://www.yumpu.com/fr/document/view/16744035/these-deuil-medecine-generale-urps-medecins-ile-de-france

-Terrier, C. (2001). L'adolescent : un processus adolescence. Dans *A. Ait sidhoum. (Eds), adolescence, Alger* : SARP, pp173-184.

-_ Wanlin, P. (2007). L'analyse de contenu comme méthode d'analyse qualitative d'entretiens : une comparaison entre les traitements manuels et l'utilisation de logiciels. *RECHERCHES QUALITATIVES – Hors-Série,« Les Actes » : Actes Du 1er Colloque International Francophone Sur Les méthodes Qualitatives*, (3), 243-272. https://doi.org/ http://www.recherche-qualitative.qc.ca/Revue.html

-Zech, E. (2006). *Psychologie du deuil*, Belgique : Edition Mardaga